الفصل الثالث

الوقف في المؤسسات التعليمية

وتشتمل على:

المبحث الأول: الأوقاف التعليمية في العالم الإسلامي.

المبحث الثاني: المدخل التطبيقي لإحياء المؤسسات التربوية للوقف العلمي المعاصر.

الفصل الثالث

الوقف في المؤسسات التعليمية

وفيه مبحثان

المبحث الأول

الأوقاف التعليمية في العالم الإسلامي

أولًا: الأوقاف التعليمية في الدول العربية:

كانت المدارس في العصور القديمة تقوم على الوقف؛ وذلك للعديد من الأهداف التي تسهم من خلالها في تخريج العديد من العلماء، وقد شملت الأوقاف العديد من المدارس والمؤسسات الطبية.

وهناك العديد من المدارس التي قامت على الوقف، ومنها ما يلي[(١)]:

- **المدرسة الصالحية بمصر:**

والتي تم إنشاؤها من قبل الظاهر بيبرس في القاهرة عام ٦٢٦هـ، وأوقف عليها المال وزاد من الإنفاق عليها؛ مما جعل هذه المدرسة هي أجمل مدرسة في مصر، وتم تخصيص مكتبة ضخمة بها، تحتوي على كتب في جميع العلوم.

---

(١) د. أنور محمد الشلتوني، التدابير الشرعية لإعادة الوقف العلمي إلى دوره الفاعل في النهضة العلمية للأمة، مرجع سابق، ص(٧).

- **المدرسة المعتصمية قرب الأعظمية:**

وقامت برعاية أم رابعة حفيدة الخليفة العباسي المعتصم بالله "شمس الضحى"، والتي تم وقفها من خلال هذه المدرسة لكل ما تملك.

- **المدارس الطبية:**

والتي انتشرت في جميع الدول العربية، وكانت عامرة بالمعاهد العلمية الموقوفة.

ثانيًا: الأوقاف التعليمية في الجزيرة العربية:

هناك العديد من المدارس الوقفية التي أقيمت في مكة المكرمة، وكان ذلك في أزمنة متعاقبة، ولكنها اندثرت جميعها **ومنها**[1]:

- **المدرسة الأرسوفية:**

أوقفت عام (٥٧١هـ)، ومدرسة أبي طاهر المؤذن أوقفت عام (٦٣٥هـ)، ومدرسة الأدارسة أوقفت عام (٦٣٨هـ)، وقد تم إيقاف المدرسة الأفضلية في عام (٧٧٠هـ).

- **كان هناك أوقاف على الكتاتيب في الحرمين الشريفين:**

وقد ذكر ذلك العديد من المؤرخين، وكان من أهمهم ابن رزيك الوزير المصري (ت:٥٥٨هـ) فقد أوقف أوقافًا على تعليم الصبيان بمكة المكرمة والمدينة النبوية، ويصرف ريع تلك الأوقاف على شراء الألواح والأوراق والأقلام والمداد والمحابر.

---

(١) خالد بن سليمان بن علي الخويطر، الوقف كوسيلة لدعم التعليم: رؤية مستقبلية، ورقة عمل للمشاركة في ندوة: ماذا يريد المجتمع من التربويين، الرياض: وزارة المعارف، ١٨-٢٠/١١/١٤٣٢هـ، العدد (٢٨)، ٢٠١١م.

■ **كانت المكتبات الوقفية في الحجاز:**

وهي أكثر من أن تحصى منها -مثلًا- مكتبة (بني فهد) الوقفية، وبنو فهد من الأسر العلمية في مكة المكرمة، وقد زارها كثير من المؤرخين العلماء مثل السخاوي والمقريزي والسيوطي؛ ولذا كسبت صيتًا علميًا وشهرة تاريخية لم تكن لتحظى بها إلا لأن صاحبها الشيخ التقي بن فهد (القرن ٩هـ)، قد أوقفها على ذريته، وكل طالب علم من أهل مكة أو من الغرباء، هذا في حياته، أما بعد مماته فكانت وصيته أنها وقف لذريته ولا يمنع عنها غيرهم.

ثالثًا: الأوقاف التعليمية في نجد:

كانت نجد من المناطق المميزة بكثرة الأوقاف على الأغراض المتنوعة لديهم، حتى لكأنها شملت كل مناحي حياة مجتمعاتهم، ولقد كان انعدام السلطة السياسية المركزية أو ضعفها في نجدٍ لقرون قبل الدعوة السلفية والدولة السعودية من العوامل المهمة التي جعلت للوقف مكانة اجتماعية ودورًا علميًا، فالمبادرة الشعبية لتقديم الخدمات التنموية للمجتمع عن طريق الوقف عوضت المجتمع عن الفراغ السياسي القائم آنذاك، والذي يعنينا من تلك الأغراض الوقفية هي الأوقاف التعليمية؛ كالوقف للكتب، والمكتبات، والوقف على الكتاتيب، وعلى طلبة العلم في المساجد، **ومنها**[1]:

■ من أقدم الأوقاف النجدية يأتي وقف الشيخ حسن بن على بن

(١) خالد بن سليمان بن علي الخويطر، الوقف كوسيلة لدعم التعليم: رؤية مستقبلية، مرجع سابق.

بسام، من أشيقر من إقليم الوشم (ت:٩٤٥هـ) وقد جاء في وقفيته ما نصه: "والكتب كلها مصاحف، وكتب العلم جميع ما أملك منها وقف على طلبة العلم من ذريتي.... ووليها طالب العلم المصلح ولا لأحد عليه اعتراض في ولايته".

- كما أن هناك بعض الأوقاف الزراعية المخصصة لطلبة العلم، منها ما أوقفه الشيخ محمد بن إبراهيم أبو الخيل، الذي تولى قضاء مدينة عنيزة عام (١١٤٥هـ) حيث أوقف بستانيه المسميين (العليا والخياط) على طلبة العلم من ذريته ولهم حق النظر فيه.
- ومن أوقاف العلماء النجديين خارج بلادهم، ما أوقفه الشيخ صالح آل جوعان (القرن ١٣هـ)، وكان مدرسًا بالمسجد النبوي الشريف، على من يتولى تدريس المذهب الحنبلي في المسجد النبوي الشريف، ولازال الوقف عامرًا ساريًا.
- ومن الأوقاف الشهيرة، ما أوقفه الشيخ حمد بن محمد البسام، من أعيان مدينة عنيزة عام (١٢٦١هـ) حيث أوقف مكتبة الشيخ محمد الهديبي بعد وفاته، حيث صارت في ملكه بشرائها من ورثته، وكانت مكتبة نفيسة جدًا، وقد أوقفها البسام على ذريته نظرًا واستحقاقًا، وبعض مخطوطاتها الآن من موجودات المكتبة الوطنية بعنيزة الملحقة بالجامع الكبير فيها.
- ومن الأوقاف التعليمية، ما ذكره بعض المؤرخين في مدينة المذنب بالقصيم، حيث أُوقِفت أوقافٌ جمة على طلبة العلم في حلقة الشيخ

عبدالله بن محمد الدخيّل (ت:١٣٢٤هـ) في مسجد الشورقية، **والتي كان منها:**

- وقف عبارة عن سكن لطلبة العلم مكون من بيوت طينية قرب المسجد، وجعلت الولاية عليها للشيخ ابن دخيّل.
- أربع مزارع نخيل لصالح طلبة العلم أوقفها حاكم قطر الشيخ (قاسم بن ثاني توفي عام ١٣٢١هـ) في مدينة المذنب.
- وقف يذبح منه كبشان كل يوم لإطعام طلبة العلم، الذين بلغ عددهم آنذاك (٩٠ طالبًا).

رابعًا: الأوقاف التعليمية الإحسائية:

حازت الإحساء شهرة علمية مشهودًا بها، وليس أدل على ذلك من أن طلبة العلم كانوا يفدون إليها من كل صوب، ولعل من أشهرهم الشيخ المصلح الإمام (محمد بن عبدالوهاب ت:١٢٠٦هـ).

وإن كان من سبب وراء هذه الحركة العلمية النشطة، فهو بسبب الوقف على العلماء وطلبة العلم والمؤسسات العلمية؛ كالمكتبات، والكتاتيب، والمدارس، والأربطة، الذي يساهم فيه القادرون من الولاة الأتراك والأعيان من العلماء والتجار والعامة أيضًا ومن النماذج التي توضح الأوقاف التعليمية الإحسائية **ما يلي**[1]:

- فمن المدارس الوقفية التي ظهرت في الإحساء قبل أكثر من قرن (المدرسة الشلهوبية) التي أسسها الشيخ أحمد بن شلهوب عام

(١) المرجع السابق.

(١١٨٣هـ)، وأوفقها على طلبة العلم، حيث خصص ثلث ريع وقفها لخدمة الطلاب، وقد حددت الوقفية تأمين الماء البارد للطلاب في الصيف، كما حددت أيام الإجازات وهي: العيدان ورمضان ويوما الجمعة والثلاثاء من كل أسبوع، ومنها المدرسة التي أسسها راشد بن دهنين العماني عام (١٢٩٢هـ) وأوقفها على طلبة العلم، وكان التدريس في هاتين المدرستين موكولًا لأسرة آل الشيخ أبي بكر الملا.

- ومن الأربطة العلمية التي ظهرت في الإحساء، رباط الملا، والذي أسسه الشيخ محمد بن أبي بكر بن عبدالله بن بكر الملا، وكان هذا الفاضل قد درس بالصولتية بمكة المكرمة، فقدم بلده متأثرًا بتجربتها فحاول تكرارها، فأقام رباطه في حي الكوت بمدينة الهفوف حاضرة الإحساء، وكان الرباط مكون من قسمين، أحدهما لإيواء ابن السبيل والحجاج والغرباء، والقسم الآخر لطلبة العلم، وكان دورين: السفلي منهما لسكن الطلبة، والعلوي جُعل فصولًا علمية لدراسة الطلبة، وقد تجمعت لهذا الرباط الكثير من الأوقاف الزراعية؛ كمزارع النخيل، ومزارع الرز الحساوي لصالحه، ومن الأوقاف عليه دور سكنية للإيجار، وكان ريع تلك الأوقاف يصرف في مصالح الرباط؛ كصيانته وتوفير الطعام للنزلاء وتخصيص نفقة للطلاب ورواتب للمعلمين، كما يجلب بريع الوقف الكتب والأوراق والأقلام والحبر والمحابر.

المبحث الثاني

المدخل التطبيقي لإحياء المؤسسات التربوية للوقف العلمي المعاصر

للمؤسسة التربوية دور مهم في التنشئة الصحيحة للطلاب، وذلك كونها المركز الإشعاعي المعرفي وينبوع الثقافة، حيث تستخدم المنهج والكتاب؛ فتقوم بتعويد الطالب العادات والممارسات الجماعية، كاحترام التقاليد وتقدير القيم، والعمل الجماعي، حيث إن المؤسسات التربوية بصفتها أهم أوساط التربية، يقع عليها العبء الأكبر في تحقيق مهام التربية القويمة، وهي المؤسسة الاجتماعية التي تتخصص في تنشئة الأجيال، وإتاحة فرص النمو المتكامل للأطفال ليصبحوا رجالًا نافعين لأنفسهم ودينهم وأمتهم، ويبرز هذا الدور بشكل أكثر وضوحًا من خلال ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس الطلاب والتدريب على إقامة الصلاة والأخذ بآداب السلوك القويم[1]، ومن أهم هذه الأدوار يأتي دور هذه المؤسسات التربوية في تأسيس الثقافة الوقفية، والتي تسهم في تدعيم المجتمع والعمل على تنميته وتطوره إلى المستوى الاجتماعي المأمول.

أولًا: التعليم:

تحتل القضية التعليمية المكانة الأولى في أولويات بناء المجتمعات والأمم،

---

(١) وزارة المعارف(١٩٩٤م)، دور المؤسسات التربوية في المملكة العربية السعودية في مواجهة البث التلفزيوني المباشر، ندوة دور التربية في مواجهة الآثار المتوقعة للبث التلفزيوني الأجنبي المباشر، السعودية، مركز التطوير التربوي، الإدارة العامة للبحوث التربوية، ص(١٨).

فهي المدخل الواسع للتنمية الحقيقية، وهي الشرط المبدئي لأي نهضة حضارية، كما أن الإخفاق في المسألة التعليمية يؤثر بشكل كبير على الإخفاق فيما سواها من المجالات الحيوية، فالتعليم هو صمام الأمان في البناء والصيانة لهوية الحضارة للأمة، فكيف لا تكون القضية التعليمية بتلك الأهمية الاستراتيجية؟!.

وقد اهتم المسلمون بإنشاء المدارس الوقفية التي انتشرت في أرجاء العالم الإسلامي، وكان منطلقها مؤسسة المسجد التي كانت في عين دائرة التعليم منذ مسجد قباء، والذي كان أول مؤسسة وقفية شاملة يتم فيها تقديم الخدمات العلمية والتعليمية والاجتماعية إلى جانب العبادة(١).

ولعل قيمة الوقف في احتضان التعليم وتعميمه وضمان استقلاليته، حيث نجد أنه من بين الأسباب الخاصة باستقلال التعليم واحتضان مؤسسات خاصة للمعاهد التي صبغت النبوغ والتفوق؛ ولذلك فيحظى التعليم الحر بالمنح الخاصة والتبرعات والقرض المسهل للطالب، ثم يقوم الطالب برد ما اقترضه بعد إنهائه الدراسة ودخوله في النشاط الاقتصادي(٢).

---

(١) محماد بن محمد رفيع، استئناف الوقف العلمي المعاصر في ضوء مقاصد الشريعة، المغرب: مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبدالله بفاس، عدد خاص، ٢٠١٤م، ص(٨٢).

(٢) محمد الصالح، الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠١م، ص(١٨٣).

ثانيًا: البحث العلمي:

تعمل المؤسسات التربوية على إنشاء وتمويل مكونات البحث العلمي، ومنها:

١. المكتبات العلمية:

حيث يتم توجيه الموارد الوقفية لإنشاء المكتبات العلمية والسهر على تدبيرها، ضمانًا لركن مهم من أركان البحث العلمي، فلا يمكن أن تؤدي المؤسسات العلمية عملها بالشكل المطلوب إلا بوجود الكتاب، ومن أكبر ما جاد به المال الوقفي في التاريخ الإسلامي الحضاري مكتبات عظيمة ظلت روافدَ للبحث العلمي عبر التاريخ، **ومنها:**

- مكتبة المدرسة المستنصرية ببغداد.
- مكتبة ابن النفيس بالقاهرة.
- مكتبة خزانة القرويين النفيسة بفاس[١].

٢. مراكز الدراسات الاستراتيجية:

وذلك من خلال تخصيص أوقاف مهمة لإنشاء وتمويل مراكز الدراسات الاستراتيجية في مختلف التخصصات؛ لتكون بنك الخبرة الذي يتم الاعتماد عليه في القرارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية و- أيضًا- العلمية؛ وذلك لتحقيق مصالح الأمة الاستراتيجية.

---

(١) محماد بن محمد رفيع، استئناف الوقف العلمي المعاصر في ضوء مقاصد الشريعة، مرجع سابق، ص (٨٥).

٣. دور النشر والتوزيع:

وذلك من أجل الاستفادة من صدور الكتب المفيدة، فهناك العديد من الأبحاث العلمية المهمة التي بقيت على رفوف أصحابها؛ بسبب غلاء الطبع وقلة ذات اليد، وإنشاء دُور النشر يسهم في الاستفادة؛ مما يتم إنتاجه وبناء تراكم الدولة العلمي[١].

(١) المرجع السابق، ص(٨٦).